العبادة في الإسلام

وأثرها في الفرد والجماعة

تأليف

د. عبد اللطيف محمد منصور

كلية أصول الدين

بالأزهر

التوزيع

دار الوفاء

مكتبة/ د. القطب محمد طبليه
رقم القيد/ ٥٥٢٤
تاريخ/ ١٩٩٢/٩/١٢

العبادة فى الإسلام

اهداءات ٢٠٠١

الدكتور/ القطب محمد طبلية

القاهرة

العبادة في الإسلام

وأثرها

في الفرد والجماعة

تأليف

الدكتور علي عبد اللطيف منصور

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع

بالغردقة

حقوق الطبع محفوظة

دار الصفوة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

ش٠ م٠ م٠ - الفردقة - البحر الأحمر ت : ٤٤١٣١٥/٤٤١٥٧٠ - فاكسميل : ٤٤١٣١٥ ت . القاهرة ت : ٢٦٠٦٣٢٠ - فاكسميل : ٢٦٠٦٣٢٠

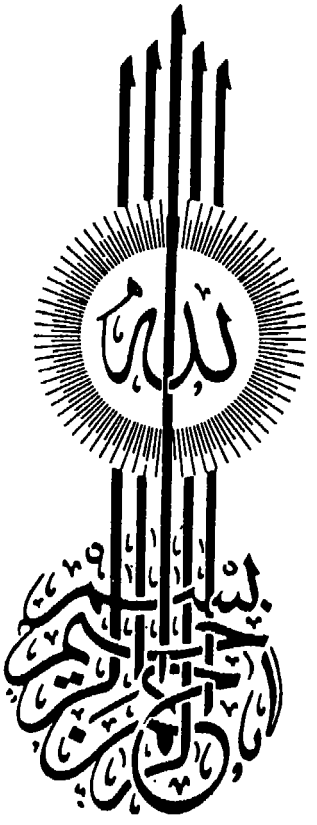
بسم الله الرحمن الرحيم

تقـدمــة

بقلم : محمد زكى الدين محمد أبو القاسم

خلق الله تعالى الإنسان على صورة فريدة متميزة ؛ فيها جماع مافى هذا الكون من الخصائص ، والعناصر :

ذلك : أنه مخلوق من الطين ؛ فى مراحله ، وأطواره ، وَمُمَدٌّ بكل ما فى الغرائز من ؛ حاجات ، ومطالب ... ومزود بطاقة الروح ، بكل مافيها من سمو ، وإشراق ، وهو ـ فى نفس الوقت ـ ممنوح طاقة الفعل ؛ بكل مافيها من معانى : الإدراك ، والتمييز ، والمفاضلة ، والحكم .

ذلك الذى وصفه بعضهم بقوله :

وتـحـسب أنـك جِرْمٌ صغـير وفيـك انـطوى العالمُ الأكبرُ ؟

وهـو : إذ خلق على هذا المستوى من الخلق ، وكُوِّن على هذه المنزلة من الإعداد ، المتميز ؛ فقد كرِّم بشتى ألْوان التكريم :

الناشئة عن طبيعة الخلق ؛ كما فى معرفة الأسماء ـ حسبما يراه فريق من المحققين ـ

أو المترتبة على حكمة الخلق ؛ كما فى إسجاد الملائكة له ؛ سجود إجلال ، وتقدير ـ بيقين ـ لاسجود عبادة ، وأنقياد ، وهو أسمى مايكون من التكريم ، وأعظم مايكون من التجِلَّة ، والاحترام .

بل إن قضيـة التكـريم ـ فيـه ـ لم تكن وقفاً على أصله ممثلاً فى شخص آدم عليه السلام .

وإنما كانت سمة لازمة للنوع الإنسانى ـ كله ـ على مدى الأزمنة ، والأمكنة ، وفى كل حال ...

يقول الخالق جل ، وعلا :

﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ .

وفى تسخير ماسخر الله تعالى : من كونه الأعلى والأدنى ، مانعرف ، وما لانعرف ـ **لخدمة هذا الإنسان** : أبلغ آية على هذا التكرم ، وأسمى دليل على هذا الإجلال ..

وهنا يأتى تساؤل لابد منه ... وهو : لمَ ذلك كله ؟

فى حين أن الإنسان يحمل فى ضمن تكوينه الطبعى : ماكان سبباً إلى الاستفسار عن حكمة التكريم الإلهى للإنسان ؛ إذ قالوا :

﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ؟

قال : أنى أعلم مالا تعلمون . ﴾ .

ومن تأمل قضية : الخلق الإنسانى يجد : أن القرآن الكريم يؤسس ذلك كله على قاعدتين أساسيتين :

الأولى : أنه مخلوق لأسمى رسالة .

الثانية : أنه مخلوق لأشرف غاية .

فأما رسالته فهى : الخلافة عن الله فى الأرض .

﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ .

والخلافة ـ فى معناها الإجمالى ـ : إدراك الممكن من علاقات الخلق ، والإستفادة بها فى تسخير الكون للخير ، وإقامة منهج الله تعالى فيه ، وتحقيق مراد الله تعالى من عباده .

وهو مايتم به تحقيق القاعدة الثانية :

وهى : أنه مخلوق لأشرف غاية .

إذ يقول خالقه ، ومبدعه الحكيم :

﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ماأريد منهم من**

رزق ، وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

وحتى هاتين القاعدتين ـ المتمثلتين فى الرسالة والغاية ـ من تأملهما جيداً يجد : أن كل واحدة فيهما تفيض بعائدها على شرعة الأخرى .

لذلك : فإن فهم أكثر الناس لمفهوم العبادة ـ فى حقيقته ـ دون المراد منها ، أو مخالفاً للمقصود بها ..

وكم كانت حاجتنا ، وحاجة الأجيال من بعدنا ملحَّة لكى نجد : من يبصرنا بحقيقة العبادة ، وصحة أدائها ، وصور قبولها .

ـ خاصة فى هذه العصور التى اخْتلَّت فيها الموازين ، واضطربت القيم ، واختلطت المفاهيم ـ .

ولقد كانت فى هذا المجال جهود مباركة ، ودراسات ذات شأن ـ ولاشك ـ لايجوز لنا أن ننساها ، أو نغفل دورها فى إحياء مفهوم العبادة ، أو تقريب مدلولها .. والتبصير بها ، وذلك مثل : كتاب العبادة : للمغفور له فضيلة الدكتور **عبد الحليم محمود** .
وكتاب العبادة ـ أيضاً ـ لفضيلة الأستاذ الدكتور **يوسف القرضاوى** .

ومنهج البحث الذى نقدمه للقراء .. ـ اليوم ـ .. هو : نسيج متميز . باعتباره : دراسة متخصصة ، مستفيضة موثَّقة ، مستوعبة لكل أطراف الموضوع ، وشتى آفاقه : تلتزم المنهج العلمى الدقيق فى التعريف ، والتقسيم ، والاستدلال ، والاستنتاج .

بالإضافة إلى ما يتميز به ـ عن الدراسات الأكاديمية ـ من : سلاسَة الأسلوب ، وجاذبية العرض ، وإشراق المأخذ ، ووجدانية الاستنباط

شأن مؤلفه : العلامة الفاضل : الأستاذ الدكتور **على عبداللطيف منصور** ـ ولا نزكّى على الله أحداً ـ فى مسيرة حياته ، وطبيعته الفذة المتميزة : بسعة الاطلاع ، وسهولة الأداء ، وقوة الإقناع ، وبساطة العبارة

فى سمت : يدل على الغـاية ، ويرشد إلى القدوة .. وتواضع جمٌ : تحصنه عزة المؤمن ، وخشية الله : ـ غير مفتعلة ، ولامتكلفة ـ قائمة على . فهم دقيق للحياة ، ومعرفة باصرة بالناس ، لايشوبها شائبة الانطواء ، بل يدعمها ممارسة عمليةٍ للدور الرسالى الناشىء عن : فقه فى الدين ، وبصر بالحضارة والتطور .

وإذا كان القـارىء الكـريم يراه ـ أحسن الله جزاءه ـ فى هذا الكتاب : كاتباً سلساً ، جذاباً ، ومفكراً ؛ دقيقاً ، وعالماً فاقهاً .

فقد عرفَتْهُ **منابرُ الدعوة** : فى مصر ، وفى ليبيا ، والكويت .

ومقاصير العلم : فى الأزهر الشريف ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وأجهزة الإعلام : فى الإذاعات القرآنية والبرامج العامة فى ليبيا ، والمملكة العربية السعودية ، ودولة الكويت .

عَرفَتْهُ رجلاً متميز الأسلوب ، متميز العرض ، متميز الفكرة ..

ـ ومن هنا ـ كان هذا الكتاب ـ الذى نقدمه ، للقراء ـ : جماع مايتطلع إليه الباحث من مواطن الفهم ، والدارس المتفحص عن دقائق العلم ، والمسترشد إلى أفضل مناهج الدعوة .

بما يحويه البحث من استيعاب الكتاب ، وروح الكاتب .

سائلين الله تعـالى أن يجعله خالصـاً لوجهـه وثقلاً فى ميزان حسنات مؤلفه ، وأن يجعله نافعاً ـلنا ، وله ـولجميع المسلمين .

وهو حسبنا ونعم الوكيل

الغردقة : فى الرابع والعشرين من رمضان المبارك ١٤١١هـ .
الموافق ٩ من إبريل ١٩٩١م .

مقدمة الكتاب

الحمد لله ، نحمده على نعمته ، ونشكره على عطائه ومنته ، ونستعينه على القيام بواجب شكره وعبادته .

ونسأله من فضله المعونة والتوفيق ، والهداية لأقوم طريق : فإن مفاتيح الخير كلها بيده ، ﴿ **مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم** ﴾ . (١)

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد ، خاتم أنبيائه ، وقدوة أحبابه وأصفيائه ، الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، والسراج المنير ، والنور المبين .

ورضى الله عن آله وأصحابه : الذين اعتصموا بحبله ، وتخلقوا بخلقه ، ونهجوا فى التعرف إلى ربهم والإقبال عليه نهجه ، فأذاقهم الله حلاوة قربه ، ومنحهم الصفو من ودِّه ، وحُبِّه ، وأثنى عليهم فى كتابه ، وأعلى شأنهم بين أوليائه وأحبابه ، وذلك هو الفوز العظيم .

وبعد :

فإن السر فى خلق الإنسان ، وتشريفه بالعقل ، وإمداده بالمعارف ومواجهته بالخطاب هو أن يعبد الله وحده ، ويتعرف إليه ، قال جل شأنه :

﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ (٢) .

ولما كان الإنسان قد خلق لهذه المهمة العظيمة ، ورزق من المواهب ما يؤهله **للقيام بها ، والدعوة إليها** ، والجهاد فى سبيلها كانت منزلته

---

(١) سورة فاطر : ٢ (٢) سورة الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨

عند ربه تابعة لمعرفة ذلك ، والقيام به ، والغيرة عليه .

ولا وزن لما وراء ذلك من معـارف وأعمـال إذا نسى العبـد هذا الواجب ، أو تهاون به وقصر فيه ولو أن إنسانا افترض فيه القيام بكل ما كلفه من واجبات نحو نفسه وأسرته وجماعته ، ثم أهمل عبادة ربه فهو مقصر ، ولا ينفعه ذلك عند ربه ، ولو أن إنسانا افترض فيه معرفة كل ما يستطيع عقل بشر أن يعرفه ، ثم لم يعرف ربه فهو جاهل ولا تنفعه تلك المعرفة عند ربه .

والعبـادة إذا كانت صحيحـة أنـارت للعبـد طريقه ، وعبدت مَسْلكه ، وأثمرت له حب الله وخشيته ، وقربه ومودته ، وارتقت به إلى مقام الإحسان .

وإنهـا لغـاية الغايات أن يصل عبد إلى هذه المنزلة من الحب والقرب ، ويحقق الحكمة التى خلق من أجلها أفضل تحقيق ، ويصبح عبدا ربانيا ، يفيض من عقله وقلبه وعلمه وأدبه ، وحكمته ورحمته على إخوانه المؤمنين ثم على الناس أجمعين ، فيعرف الناس بربهم ، ويذكرهم بعفوه وغفرانه ، وفضله وإحسانه ، **كما قال جل شأنه** :

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآيتنا يوقنون ﴾ . (١) سورة السجدة : ٢٤

كذلك : فإن الأمة التى تؤمن بربها ، وتستجيب لأمره وتقف عند حدوده ، وتسارع فى مرضاته ، وتستقيم على طريقته ، وتجاهد فى سبيله .

مثل هذه الأمة تلقى من ربها المعونة والتوفيق ، والنصر والتأييد .

والوعود الربانية للمتقين والمحسنين والمؤمنين فى ذلك يضيق بها نطاق الحصْر :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى

الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ﴾ . (١)

ولما كان أكثر الناس قد غفلوا عن هذا الأمر العظيم ، وقصروا فيه ، وتهاونوا به ، مع أنه ـ كما علمنا ـ مصدر خيرهم وعزتهم ، وينبوع رفعتهم وسعادتهم ـ **فقد انشرح صدرى للكتابة** فى موضوع العبادة وآثارها والحكم التى تترتب عليها ، **ليكون ذلك بياناً** للناس ، يذكر المؤمنين ، وينير الطريق للعابدين ، **ويضع مادة أمام الدعاة** والمرشدين . وقد جعلت عنوان هذا البحث : ـ

العبادة فى الإسلام وأثرها فى الفرد والجماعة

ولقد شجعنى على الكتابة فى هذا الموضوع ما أشعر به من شدة الحاجة إليه .

فقد فترت صلة الناس بربهم ، وانصرف كثير منهم عن العبادة ، بل عن الدين جملة وتفصيلا ، وفسقوا عن أمر ربهم ، **وأقبلوا على شهواتهم ومآربهم غير مبالين بعواقب ، أو مفكرين فى نتائج ، فأظلمت قلوبهم** ، وانطمست بصائرهم وصدق فيهم قول الحق سبحانه :

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾ (٢) .

وتحولت العبادة لدى كثير من الناس إلى عادات مألوفة ، لها مظهر العبادة ، وليس فيها حقيقتها وروحها ، فلم تثمر لأصحابها ما تثمره العبادة الصادقة من خلق حميد ومسلك سديد ، وصدق خشية من الله ، ورجاء فيه ، وحب له .

---

(١) سورة النور : ٥٥ (٢) سورة مريم : ٥٩

والله أسأل أن يجعل من هذا البحث منارا للسالكين ، وهداية للحائرين وتذكرة للعابدين ، وأن يثبت به الإيمان . ويقوم به الأخلاق ، وأن يجعل منه غذاء للأرواح ، وشفاء لما فى الصدور ، إنه ولى التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد بنيت هذا الموضوع على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة :

ثم ذكرت أهم المراجع التى اعتمدت عليها مرتبة على حروف المعجم ، وذكرت أسماء مؤلفيها ومحققيها وناشريها .

وراعيت فى الآيات القرآنية ذكر سورها وأرقامها ، **وفى الأحاديث النبوية** عزوها إلى مخرجيها معتمدا على الأحاديث الصحيحة ، معرضا عن الأحاديث الضعيفة مكتفيا من الأحاديث الشريفة بقدر ما هو ضرورى لبيان الفكرة وإقامة الحجة .

وأحمد الله سبحانه فقد كان توفيقه لى ومعونته أكبر من جهدى وعملى والحمد لله وأعود فأعترف بأنه لو أتيح لى فرصة مراجعة الكتاب مرة أخرى فربما حذفت وأضفت وقدمت وأخرت وهذا شأن البشر وسبحان من تفرد بالكمال والحمد لله فى كل حال .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كل من اطلع عليه ، ونظر فيه ، واعتنى به ، وأن يجعله هداية للقلوب ونوراً للبصائر ، فإنه ولى ذلك ، والقادر عليه ، لا حول ولا قوة إلا به ، ولا ملجأ منه إلا إليه .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

تمهيـــد

الكائنات خلق الله

إن نظرة إلى هذا الكون العظيم الخلق ، البديع الصنع ، المحكم التدبير لتملأ قلوب المنصفين إكبارا وإجلالا وإعظاما واحتراما للخالق العظيم ، والمدبر الحكيم ، الذى خلق فسوى وقدر فهدى ، وأعطى كل شىء خلقه ثم هدى وخلق كل شىء فقدره تقديرا .

فهذه السموات قد رفعت بغير عمد نراها ، زينت بالمصابيح ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ . (١)

ترى الشمس التى جعلها الله سراجا وهاجا ، تمنح الحياة ، وتنشر الضوء والحرارة ، وترى النجوم والقمر تسبح فى أفلاكها فى نظام دقيق ، وإحكام وإتقان ، بلا تقديم ولاتأخير .

﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ (٢) .

وهذا بعض حديث القرآن الكريم فى الدعوة إلى التأمل والنظر فى هذا الكون : السماء وماحوت .

﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ﴾ (٣)

﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ﴾ (٤)

﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش

---

(١) سورة الملك : ٥

(٢) سورة يس ٣٨ ، ٤٠

(٣) سورة ق : ٦

(٤) سورة نوح : ١٥ ، ١٦